محاضرات في مادة :

مناهج تفسير النص القرآني

خاصة بطلبة السداسي الثاني

2020 -2019

إعداد أ.د محمد عباس

منهج التفسير البياني:

ويعرف الباحثون هذا المنهج بما يحققه من أهداف سامية ليتوصل الدارسون بواسطتها إلى إبراز القيم الجمالية للقرآن الكريم، وذلك بما احتوت عليه الآيات القرآنية كالاستعارات والكنايات والتمثيل و التخييل والفصل والوصل والائتلاف في اللفظ مع اللفظ أو اللفظ مع المعنى والاتساع والاشتراك والقصر و كشف الدلالة الحالية والمقالية، و غيرها من المواضيع وكلها ركائز قام المنهج البياني بها وعليها، كما هي وسيلة لإبراز الصور البيانية في أسلوب القرآن الكريم، وإبراز السياقات الباهرة فيه وبيان الإعجاز البياني المشتمل عليه .

وإن كانت هذه المصطلحات البيانية و البلاغية غير معروفة عند الصحابة إلا أن أساليب كلامهم لا تخلو من ورودها على ألسنتهم ولا يخلو أسلوب خطابهم منها وخاصة مشاهير المفسرين من الصحابة كابن عباس ومجاهد وابن جبير و تلامذتهم من النابغين.

إن تفسيرات هؤلاء الأئمة الأعلام للقرآن الكريم قد حوت من التأويلات و التشبيهات ما يجعل الباحثين يصنفونها ضمن المنهج البياني حيث كانت الأساليب البلاغية تدور على ألسنتهم قبل أن تعرف المصطلحات البلاغية.

و إذا وجهنا النظر إلى اللغة العربية و خصائصها نجد أن القرآن الكريم قد عاش مرحلة من مراحل تطوير هذه اللغة فارتقى بها إلى أن تكون تعبيرا عن واقع مضطرب بما يحمل بين أطوائه من عوامل الفساد وأسباب التهافت، هادفا من ذلك إلى رسم المعالم الجديدة للمجتمع الإسلامي بما يزيل من طريقة كل عوامل الفساد والآفات الاجتماعية وبما يدفع عنه آثارها فقد كانت اللغة العربية تعيش الواقع المادي الذي تكتسب منه معانيها من صحرائها وباديها لذلك لم تسم بيئتها إلى أبعد من هذا المستوى

إلا في عقول الشعراء و أذواقهم [1]. جاء القرآن الكريم يؤدي وظيفته في هداية الناس وتقويم سلوكهم وتصحيح عقائدهم و التشريع لحياتهم بما يعين هذه الحياة على اطراد السير وسلامة القصد و الرقي الفكري، وعاش الشعراء في الصحراء مشدود إلى المعاني القديمة، أما أولئك الشعراء الذين أسلموا فقد أنشأ القرآن يحدث أثره في لغتهم، وإن لم يظهر إلا في حدود ضيقة في بداية الأمر، وعني من ليس شاعرا بالقراءات القرآنية يحفظ ما يتيسر له ويبلغه من لم يتمكن من أخذه من صاحب الرسالة فيقرئه الناس في أسواقهم أو مزارعهم ويجالس الفئات التي هداها الله إلى الطريق المستقيم، يتقدم الصحابي فيستمع إليه الراغبون و هو يفسر آياته ويبين أحكامه ويهدي إلى وجه الحق من تأويله.

وقد أدى نزول القرآن إلى أن تغيرت مفاهيم كثير من الألفاظ التي عبرت عن مفردات من هذا الدين فأصبحت معانيها مختلفة عما كانت عليه من قبل و كان ذلك أول باب من أبواب الدراسات اللغوية كالنحو والصرف والتعمق في معنى بعض الألفاظ. و يطلق كثير من الألفاظ التي كان يستعملها الجاهليون و خاصة في بيئة المتدينين بالإسلام و منها مثلا :الإتاوة، والمكس، والمرباع، والنشيطة والفضول، وغيرها كثير . . . كذلك نجد الإسلام قد أبطل استعمال كثير من الألفاظ التي كانت تستعمل في مخاطبة الملوك و ذوي الرئاسات والتي تعبر عن تعظيم المخلوق وتدفع به إلى الغرور والاستعلاء حتى لا ينطبق عليه ما ورد في حق فرعون وأعوانه حيث قال تعالى في شأنهم: **{واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون}** [2].

---

1) ينظر ابن فارس،الصاحبي : 21

2) سورة القصص . الآية 39

وبذلك كان القرآن حدثا ضخما في تحويل حياة اللغة وأسلوبه لو توجيهها إلى أن تكون لغة فكر يخطط لمستقبل هذه الحياة و يصلح واقعها يدل على مواطن العبرة في مظاهرها الكونية[1] .

ويحيي ألفاظا تعبر عن دقائق الأمور حتى أن البعض من الناس الذين لم يكونوا من أهل النظر يظن أنه لا فرق بين هذه الكلمة والأخرى. يقول د/صبحي صالح: "وتبلغ العربية حد الإعجاز وهي تعبر عن صوت الشيء الواحد بألفاظ مختلفة تراعي معها التفاوت في علوه وهبوطه وعمقه وسطحيته، فإذا كان صوت الإنسان الخفي، قد يكون همسا وقد نطق به القرآن الكريم، قال تعالى: { وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً }[2]، أو جرسا أوخشفة أو همشة أو وقشة، فإن صوت الماء إذا جرى خرير، وإذا كان تحت ورق أو قماش: قسيب، وإذا دخل في مضيق فقيق، وإذا تردد في الكوز أو الجرة: بقبقة، وإذا استخرج شرابا من الآنية : قرقرة. .وهكذا"[3]

وتواصلت البحوث و الدراسات البيانية للقرآن الكريم لمعرفة وجوه الإعجاز فيه وإستكناه أسراره البلاغية، و ظهر رجال وضعوا مصطلحات للبلاغة وصاروا يدعون إلى إتقان علومها، فهذا أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين حث على معرفة فنون البلاغة و التعامل بها حتى يتوصل إلى أسرار القرآن، فدراسة البلاغة تفتح المجال للتعمق في تفسير القرآن، وإنه ليرفع من مكانة علوم البلاغة ويجعلها في رتبة عالية بين المعارف العقلية والعلمية ويصنفها في الرتبة الثانية بعد توحيد الله عز وجل فيقول: " أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي

---

1) المرجع نفسه، ص : 23

2) سورة طه جزء من الآية : 108

3) دراسات في فقه اللغة، د/ صبحي صالح لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ط/ 7 سنة 1978 .ص : 298

يعرف إعجاز كتاب الله تعالى"[1] . ثم إستمر عمل العلماء وتطور منهج البيان شيئا فشيئا بما أنجزوه دفاعا عن القرآن رجال من أمثال الرماني و الخطابي و الباقلاني و الجاحظ و ابن قتيبة والشريف الرضي إلى أن ظهر على ساحة الإبداع و التطوير الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى 470هـ والذي قدم للمجتمع كتابين عظيمين قلبا نظرة العلماء إلى البلاغة و هما " دلائل الإعجاز " و "اسرار البلاغة " .

فاعتبر بحق المؤسس لأصول هذا المنهج و المنظر له، وقد استخدم هذه النظرة الثاقبة للبلاغة فأسس طريقة لأصول استنباط الاستعارة والصور التشبيهية وغيرها، وكونه لم يكن سالكا للطريقة التقليدية فإن منهجه كان جديدا حيث أبدع فيما قدمه للناس، كان يتناول توضيح البلاغة العالية فيما يتعرض له من نصوص و هو صاحب نظرية النظم، كما كان يحلل النظم القرآني ليتوصل إلى الإعجاز الذي لم يسبق إليه، و الكتابان اللذان ألفهما في البلاغة يشهد أن له بما بذل من جهد وما فتق من أفكار وآراء وما يتمتع به من حس مرهف وإبداع فني رائع وما كشف من تخريجات تجعله يتصف بعمق تذوقه لجمال النظم القرآني.

فقد كان مدرسة عديمة النظير أثرت في الأجيال اللاحقة بما بثت فيهم من إحساس بجمال بلاغة و بيان الأسلوب القرآني ، و إن كان لم يتناول كل الآيات القرآنية إلا أن هذا لم ينقص من قدره ويكفيه فخرا أنه أسس لمنهج سلكه اللاحقون فأكملوا ما لم يصل إليه وذلك مثل الزمخشري توفي 538هـ الذي ألف كتابه، الكشاف والذي تناول تفسير القرآن الكريم كله فتولى تفصيل نظرية النظم في كل آية من كتاب الله عز وجل وبين ما فيها من بلاغة وبيان ومعاني.

---

1) أبو الهلال العسكري – الصناعتين ط الإسانة 1319 ه، ص 53

فسار على خطة الجرجاني و طبق ما كان قد نظر له و نفذ ما دعا إليه وفق الخطة المرسومة من صاحب النظرية [1] فكان بحق هو الرائد في هذا الميدان و أول مفسر سار على هذه الطريقة البيانية في تفسير القرآن الكريم، و قد كان تعبيره في مقدمة تفسيره خير شاهد له على ما عزم عليه من عمل عظيم [2] من الاعتناء بالبيان و المعاني، فيقول : " ثم إني أملأ العلوم بما يغمر القرائح و أنهض بما يبهر الألباب الفوارح، من غرائب تكتب بلطف مسلكه أو مست ودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه، وأجالة النظر فيه، كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن. . " [3] ويواصل مدح نفسه وأسلوبه وبيان عمله ومقارنته بالمتخصصين في أنواع العلوم : فالفقيه وأن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام والمتكلم وأن يز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من (أين القرية) [4] أحفظ، والواعظون كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وان كان إنحنى من اللغوي وان علل اللغات بلحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطريق ولا يغوص على سن من تلك الحقائق إلا رجلا قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني، وعلم البيان [5] واهتمامه البالغ بعلمي المعاني والبيان بينت تعلقه الواضح في تفسيره لمنهج البيان ومن يراجع تفسير الكشاف لا يجد نفسه إلا وقد وقف على هذه النماذج الكثيرة المبثوثة في تفسيره للنصوص القرآنية وإن ما وهبه الله من ذوق بياني وحس مرهف وحفظ واسع وكونه شاعرا مفلق ومحاور بارع

---

1) ينظر خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، د . محمد رجب البيومي، ص 232

2) ترجمة الزمخشري، نقل من مقدمة أساس البلاغة ص م

3) أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت) 538

4) اين القرية أحد فصحاء العرب و اسمه أيون والقرية اسم أمه، المصدر نفسه، ص 16

5) الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فيوجوه التأويل، لبنان – بيروت، دار الفكر، ج 1، ص 15 د/ت

كل ذلك جعله من أساطين البلاغة و فرسان الأدب يحظي بإعجاب العلماء واعترافهم بعل وكعبة في كل العصور الموالية لعصره، و نجد ابن خلدون حين تعرض للبيان أثنى على تفسير الكشاف فقال: (ما أحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون، أكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جار الله الزمخشري و وضع كتابه في التفسير و تتبع الآيات القرآن بإحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير)[1] ، هذا كلام العلماء المسلمين والباحث لا تعدم من يقول فيه مثل ما يقول العلماء المسلمين.

فهذا (قولدزيهر) يثني على الزمخشري بكل إعجاب و إكبار في هذا المجال فيقول: (ليبد مفسر نشاطا واجتهادا أكثر من الزمخشري في بيان الإعجاز البلاغي لنظم القرآن)[2] ، وقد علق كثير من الباحثين على تفسير الزمخشري بأنه خبر مصدري وضح أسس المنهج البياني في التفسير.

أسس المنهج البياني:

إن من يريد أن يجد أسس المنهج البياني في القرآن الكريم عليه أن يتناول النص القرآني بموضوعية قاصدا ما يريد فهمه من كتاب الله العزيز الحكيم. ويدرس كل الآيات التي هي موضوع الدرس المقصود. ويركز على فهم أسرار التعبير التي جاءت في القرآن نصا وروحا مع مقارنة ما قاله

---

1) مقدمة إبن خلدون، ص 552 – 553

2) مذاهب التفسير الإسلامي، ص 155، ترجمة عبد الحليم البخار، نشر الجماعي سنة 1374 ه.

المفسرون فيه، فيقبل ما هو مناسب ويترك ما لا يتلاءم و الموضوع من الأقوال المدروسة كالإسرائيليات والتأويلات المذهبية والعقائدية البعيدة [1].

وبعد ترتيب الآيات حسب نزولها للوصول إلى ما يحيط بها من ظروف زمانية ومكانية، وعليه أن لا يغفل الاستعانة و الاستئناس بالمرويات التي تنير الطريق إلى معرفة أسباب النزول من حيث هي أدلة صاحبت نزول الآية أو الآيات، دون إغفال أساسيات الفهم التي تقرن بما يناسب الموضوع إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية.

وإن كنا نجد أن أسباب النزول قد تتعدد، و الخلاف فيها يرجع إلى أن من عايشوا نزول الوحي تختلف مداركهم فيربطها كل راو بما يظن أنه السبب في نزولها.

. الاستعانة بدلالة الألفاظ:

فلكون القرآن نزل (**بلسان عربي مبين**) [2]،فللدارس أن يطلب المعاني و الدلالات الأصلية المستقاة من الأسلوب العربي في خصائصه الحقيقية و المجازية ثم يتم الوصول إلى المعنى المدرك من الصيغة القرآنية بمقارنة ما في القرآن الكريم من ألفاظ وصيغ مع التركيز على ورود الآية في سياقها العام وبين إخوانها في السورة أو السور كلها إذ القرآن كالسورة الواحدة حسب رأي بعض العلماء.

---

1) ينظر تفسير البياني للقرآن الكريم، د/عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مصر، القاهرة، دار المعارف ط4، سنة 1974، ص 9 – 4.

2) سورة الشعراء آية 195 وهو من الآيات :{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ،بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ }

فمن الأسس المستهدفة في المنهج البياني بيان ما في القرآن من أسرار بيانية و نكت بلاغية وهذا إن تظافر الربط بين أنواع البيان و المجاز البلاغي وبواسطه تتذوق روعة وجمال الأسلوب القرآني، ومن أوائل المتفوقين في هذا المجال على جل إن لم يكن كل المفسرين السابقين الإمام الزمخشري في تفسيره الكشاف، وللتوضيح نسوق أمثلة على ذلك لبيان منهجه في كشف وجوه الإعجاز في الآيات القرآنية.

- الاستعارة:

فقد تناول نوعا بديعيا من أنواع البلاغة وهو ما أطلق عليه الاستعارة المرشحة: وترشيح الاستعارة: أن القرآن بما يلاءم المستعار منه أي المشبه به.

ومن ذلك نجد الزمخشري يتناول قوله تعالى: { **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** }[1]، فيقول: فإن قلت هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح و التجارة كأنهم مبايعة على الحقيقة ؟. قلت: هذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو: أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات، إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة و أكثر ماء ورونقا، و هو المجاز المرتسخ "[2]، وهذا النوع من الاستعارة عرفه السكاكي، بقوله : أن يكون الترشيح تخييليا مثل ما ذكر فيه، لأن الترسخ فيه إثبات بعض ما يخص المشبه به للمشبه: إلا أن التعبير عن المشبه في التخييلية بلفظه الموضوع له: وفي الترشيح بغير لفظه "[3].

---

1) جزء من آية سورة يوسف الآية 32.

2) سورة البقرة، الآية 16

3) الكشاف ج 1، ص 192 – 193

2 – اسم الإشارة :

يتناول اسم الإشارة و يبين ما في القرآن من أسرار جمالية حين يعبر باسم الإشارة و يمثل بقوله تعالى: { **قالت فذلكن** }[1] ولم تقل فهذا وهو حاضر، رفعا لمنزلته في الحسن و استحقاقا أن يجب ويفتتن به، وربا بحاله، واستبعادا لمحله "[2] ويقول في قوله تعالى: { **أولَئكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وأولَئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}[3] ،

وفي اسم الإشارة الذي هو أولئك، إيذان بأن ما يرد عقبه فالمذكور قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم الطائي ولله صعلوك ثم عدد خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله: فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذموما[4] .

. التشبيه: و يورد الزمخشري قولا بلاغيا جميلا في إبراز ما للتشبيه من حسن و جمال في الآية الكريمة: { . . .**يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**. . .}[5] يقول: فإن قلت: ثنية اليد في قوله تعالى: { . . .**يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**. . .} وهي مفردة في: "{ . . **يد الله مغلولة** }" قلت: ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل

---

1) ينظر المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص 100

2) الكشاف ج 1، ص 267،و تتمة الآية

3) سورة البقرة، الآية 5

4) الكشاف ج 1، ص 141 – 142

5) سورة المائدة جزء، الآية 66

على إثبات غاية السخاء له، ونفي البخل عنه، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه لأن يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك[1].

أمثلة ثلاثة قدمت نموذجا لمنهج الزمخشري في كتابه الكشاف وفي أسلوبه الفذ في معالجة البلاغة القرآنية و إبداء وجه الجمال في الأسلوب القرآني و إظهار التخريجات البارعة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

وأما الثاني: فاعتماد الزمخشري على أصول اللغة و النحو واضحة في تفسيره وكل من يتأمل في تفسيره يجد أن المنهج اللغوي طغي على هذا التفسير، ومن يحاول تعليل ذلك فليرجع إلى شخصية الزمخشري كونه إماما من أئمة اللغة الأفذاذ وعالما من علماء العربية، ولذلك يلاحظ عليه اهتمامه الكبير بذكر المعاني اللغوية لألفاظ القرآن الكريم ونجد ذلك مثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**}[2]، فنجده يهتم باللغة و الفروق التي تعترض اللفظ وما يشابهها أو يقاربها في المعاني والدلالات فبين معنى الحمد و الفرق بينه وبين الشكر فيقول: الحمد و المدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول: حمدت الرجل على إنعامه، وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة، وهو بالقلب واللسان و الجوارح والحمد باللسان و حده "[3]....

ويواصل شرح الموضوع مفصلا ومستشهدا بالنصوص.

---

1) الكشاف ج 1، ص 628

2) سورة الفاتحة، الآية 1

3) الكشاف ج 1، ص : 47.46

أما في مجال الاستشهاد بالشعر فهو من المكثرين منه ليدلل على من يقول ولكون الشعر ديوان العرب. فعند تفسيره لقول الله تعالى: { . . . وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[1]، يقول الزمخشري مفسرا : لمعنى الخلود في الآية الكريمة : و الخلد: النبات الدائم و البقاء اللازم الذي لا ينقطع. قال تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ }[2] وقال امرؤ القيس:

ألا أنعم صباحا أيها الطلل البالي ..... وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

وهل ينعمهن إلا سعيد مخلد ..... قليل الهموم ما يبيت بأوجال[3]

وإذا بحثنا عن الإعراب و التعليلات النحوية فإننا نجد الزمخشري قد خص المجال في تفسيره بنصيب وافر فنجد تفسير قوله تعالى مثلا: { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }[4]، نجده يذكر وجهين إعرابيين فيقول: "وارتفاعه – أي سواء – على أنه خبر لأن: { أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ } في م وضع المرتفع به على الفاعلية، كأنه قيل: إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه، كما تقول: إن زيدا مختصم أخ وهو ابن عمه، أو يكون: أأنذرتهم أم لم تنذرهم، في موضوع الابتداء، وسواء خبر مقدما، بمعنى: سوء عليهم إنذارك لهم وعدمه، و الجملة خبر إن "[5]

---

1) جزء من الآية 25، سورة البقرة

2) سورة الأنبياء، الآية 34

3) الكشاف ج 1، ص 262

4) سورة البقرة، الآية 6

5) الكشاف ج 1، ص 151

وأما القراءات فإننا نجد الزمخشري مهتما بالقراءات بأنواعها الصحيحة منها والشاذة ولكنه كان يهتم بالجانب النحوي فيرد أحيانا بعض القراءات الصحيحة لمخالفتها للقواعد النحوية، وذلك كرده لقراءة ابن عامر: { وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ } [1]. ينصب الأولاد وجر الشركاء بغير الظرف فيقول: " و أما قراءة ابن عامر " قتل أولادهم شركائهم برفع القتل، و نصب الأولاد و جر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه و جزالته "[2].

وقد سار في نفس المنهج ثلة من العلماء ممن سبقوه ولحقوه وحاول آخرون عدم التعرض للآية أو تأويلها ليتخلصوا من هذا التعارض الذي صادفهم فكيف يفصلون بين المتضايقين وكيف يخطئون إحدى القراءات السبع ؟

فهذا شيخ النحاة سيبويه الذي نجده لا يتعرض لقراءة ابن عامر مع أنه لا يجيز الفصل بين التضايقين حيث يقول: لا يجوز :" يا سارق – الليلة – أهل الدار "، إلا في شعر، وكراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور[3].

وبعد تعليقات وردود كثيرة حول جواز الفصل بين المتضايقين وعدمه والحالات التي يمكن أن يجوز فيها الفصل.

---

1) سورة الأنعام، الآية 137

2) الكشاف ج 2، ص 53 – 54

3) سيبوية الكتاب ج1، ص 176 – 177

فهذا العلامة أحمد الإسكندري الذي أورد بعض الشواهد على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه فيقول: " فهذه كلها نكت مؤيدة بقواعد منظرة شواهد من أقيسة العربية ـ يجمع شمل القوانين النحوية لهذه القراءة وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة "[1]

وهذه المناقشات و المجادلات في آية واحدة تدل على كثرة الدارسين و المفسرين اللغويين والبيانيين الذي ملئوا الساحة و كلما تكلم واحد منهم وجد من الردود و التعليقات و التعقيبات والتصويبات ما يجعل الدارس في حيره من أمره يلأتي الآراء يأخذوا بها ينبع و إن كان هذا النقاش الحاد فغن الفصل فيه للسابق، و تعرض الباحثين و المفسرين البيانيين لقراءات الشاذة و ذلك مثل ذكرهم للقراءة أيوب السختياني . و التي يقول فيها الزمخشري:

وقرأ أيوب السختياني (و لا الضالين) بالهم. كما قرأ عمر بن عبيدة (و لا جان) و يعلل الزمخشري لهذه القراءة بقوله : و هذه لغة من الهرب من التقاء الساكنين) .

3 – و الأساس الثالث : الاعتماد على الآثر في تفسيره لبعض الآيات علما أن اعتماده على الآثر ومنه بيانه لأسباب النزول و هذا جعل الزمخشري تحتوى على بعض الإسرائيليات .

ذكر أهم أسس تفسير الكشاف للزمخشري وقد أورد الأساسين الأولين من أسس متجهة وقد وضح المنهج البياني أحسن توضيح و الذي نال فيه الزمخشري المكانة العالية بين العلماء، فحظي بالمنزلة العظيمة بينهم، فكان المنار الذي يهتدي به كل من جاء بعده وهو الإمام الفذ في هذا الفن بلا منازع وكل من لحق به سار على نهجه وعدا تلميذا له فحتى العلماء الغير راضين عن مذهبه الاعتزالي

---

1) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال ج2، ص 54و ظاهرة التأويل في إعراب القرآن، د/عبد القادر هنادي، ص 80

كالبيضاوي والنسفي والتفتزاني وأبي السعود وغيرهم فصار الزمخشري في منهجه البياني البلاغي وحيد عصره فريد دهره كما يقول محمد الفاضل بن عاشور: (عمدة الناس على اختلافهم من مشايع له ومخالف، وعلى وفرة مخالفيه و انقطاع مشايعه و في غوصه على دقائق المعاني وحسن وإبرازها على طريقة علمية. سائغة بتحليل التراكيب و إبراز خصائصه و اعتباراته [1] .

---

1) تفسير و رجاله لمحمد الفاضل بن عاشور، ص 58

المنهج الفقهي:

إن هذا المنهج يتناول تفسير آيات الأحكام التي تعد ا لأصل الأول من أصول الفقه الإسلامي، وهذه الآيات تتعلق بالأحكام الشرعية التي تؤخذ من نصه الأصلي، حيث أنه: "لا يجوز استنباط الأحكام من غير الكلام العربي كما أنه لا تصح الصلاة بالقراءة بغير اللغة العربية "[1] (الترجمة)كما يقول الدكتور عوض أحمد إدريس، هذه الأحكام التي تتعلق بضبط مصالح العباد الدينية و الدنيوية، وقد بدت بوادر هذا المنهج منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم هؤلاء الذين كانت آراؤهم تختلف في استنباط الأحكام الشرعية المستقاة من الآية الكريمة الواحدة واقصد بهذا: الآيات الظنية الدلالة، إذ أن دلالة القرآن الكريم على الأحكام ليست على درجة واحدة، بل منها ما هو قطعي الدلالة على مراد الله سبحانه وتعالى، ومنها ما هو ظني في دلالته، و"تكون دلالة اللفظ قطعية إذا دل على معنى لا يحتمل غيره"[2] كدلالة اللفظ على معناه في قوله تعالى: **{ ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد}**[3] فالنصوص تكون قطعية الدلالة إذا كانت لا تحتمل إلا معنى واحدا يتعين فهمه منها، ولا مجال لفهم معنى آخر منها، كالآيات المشتملة على أعداد ومقادير محددة[4] .

---

1) أ. د/ عوض أحمد إدريس. الوجيز في أصول الفقه لبنا ببيروت – دار مكتبة الهلال. ط: 2. سنة : 1992 .ص : 9

2) د. ينظر د/ حسين حامد حساد أصول الفقه ص : 265

3) سورة النساء . الآية ك12

4) ينظر زيدان أبو العينين زيدان . أصول التشريع الإسلامي ص . 65

وأما اللفظ الذي يحتمل أكثر من معنى فهو مؤهل لأن يأخذ منه المفسر أحد المعاني دون الآخر وعلى هذا فإنه يكون ظني الدلالة والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم كلفظ القروء الذي يدل على الحيض والطهر في آن واحد، هذا في الألفاظ وأما في الآيات الدالة على الحامل الواردة في مواضيع مختلفة، فإنها موضوع خصب للتأويل وقد استنتج منها الفقهاء أحكاما متباينة منذ عهد الصحابة،

ومن الأمثلة على ذلك الخلاف الذي حصل بين الصحابيين الجليلين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها، حيث قال السيد عمر بن الخطاب، تعتد بوضع الحمل وكان رأيه مستندا إلى قول الله تبارك و تعالى: {واولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}[1]،

وأما الإمام علي فقال في الموضوع: تعتد بأبعد الأجلين، إما بوضع الحمل و إما أن تعتد بعدة الوفاة و قد كان رأيه مستندا إلى قوله تبارك و تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وعَشْرا}[2]، والمتأمل في هذه الأحكام وان اختلفت فهي من قول صحابيين جليلين و قولهم معتمد، و قد أيد رأي الإمام علي عبد الله بن عباس ومعنى ذلك أنها كانت حاملا فوضعت الحمل ولم تنته مدة العدة "أربعة أشهر وعشر" تبقي معتدة حتى تنتهي المدة، و إذا انتهت المدة و لم تضع الحمل تنتظر حتى وضع الحمل فإذا قعدت أبعد الأجلين فقد عملت بمقتضى الآيتين، وان اعتدت بوضع الحمل فقد تركت العمل بآية عدة الوفاة، و الجمع أولى من الترجيح[3] ثم توسع

---

1) سورة الطلاق، جزء من الآية 4

2) سورة البقرة، جزء من الآية 234

3) ينظر محمد على الصابوني، تفسير آيات الأحكام. ج 1، ص 364، و ينظر أيضا بدية المجتهد ج 2، ص 162 – و الفقه على المذاهب الأربعة ج : 4 ،ص 529 للتوسع.

هذا النوع من التفسير في عهد التابعين تبعا للحوادث التي وجدت بعد عهد الصحابة نظرا لتوسع رقعة الإسلام ودخول الأمم الأخرى فيه وللناس معتقدات وأعراف مفاهيم، فأخذ كل مجتهد ينظر إلى هذه الحوادث في ضوء الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام والأحاديث النبوية الشريفة المفسرة لها ، وكذا بقية النصوص التشريعية، ثم يستنبط الأحكام التي تنقده في ذهنه، ويوقن أنها الحق، بعيدا عن الأهواء ، والميولات المختلفة المؤثرة و لهذا السبب نجد أن الفقه الإسلامي قد استمر على ما كان عليه في عهد الصحابة بما كان يميزه من الواقعية ودراسة الأمور العملية التي تمثل المرآة العاكسة للصور الحية للواقع الإنساني، لأن الفقهاء جزء من الأمة يعيشون مشاكلها واهتماماتها ويعالجون أمورها اليومية التي تعترضه، وهذا بالاستناد إلى ما وصل إليهم من الصحابة من تفسير للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ولتأثر السياسة في العصر العباسي بآرائها الفقهاء والتزام الخلفاء بالفتاوى الفقهية أقبل العلماء على صب اهتماماتهم على مدارس الفقه و نقل الفتاوى وتعليمها للأجيال ونشر الثقافة الفقهية في المجتمع.

فتوسع مجال الفقه ودرس بعمق كبير و كثر رواد المدارس التي أنشئت له، فتوسع مجاله ورقى نحو الكمال و تغلغل في المسائل التي تعني المجتمع والتي ظهرت بتوسع الحضارة الإسلامية وانتشار الدعوة إلى الأمم التي لم تكن قد آمنت، فبإسلامهم حملوا معهم اهتمامهم و انشغالاتهم التي لم تكن معروفة لدى العرب.

هنا نشأت وتعددت الاجتهادات و المجتهدون و أصحاب الرأي المطلق، والمنهج المتميز، وأصبح المجتهدون يضعون قواعد و ضوابط و أصولا للدراسات الفقهية فاتجهت الحياة الاجتماعية والعقائدية من عبادات ومعاملات إلى الضبط والتقنين وتوحدت الأعراف بعد أن كانت متعددة بتعدد

الشعوب المعتنقة للإسلام فظهر الفقهاء المجتهدون و ظهرت على أيديهم مذاهب فقهية مؤصلة وموصولة بالقرآن والسنة، وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل حين بعثه إلى اليمن قاضيا ومعلما قائلا : بم تحكم يا معاذ ؟

قال : بكتاب الله .

قال : فإن لم تجد ؟ .

قال : فبسنة رسول الله .

قال : فإن لم تجد ؟ .

قال: أجتهد رأيي ولا آلوا . قال رسول الله صلى عليه وآله عليه وسلم: الحمد لله الذي وفق رسول الله إلى ما يحب الله ورسوله [1] .

من أمثال هذا الحديث وغيره من الأدلة والشواهد حفل هذا العصر بالعلماء المجتهدين والفقهاء النوابغ المخلصين حتى عد من أهم العصور التي مرت بالحياة الفقهية وصارت أكثرها نشاطا وأغزرها اجتهادا وأعظمها تقدما وازدهارا وانتشارا .

فانعكس هذا الجو السائد على المجتمع الإسلامي وأثر تأثيرا بليغا في العلماء والباحثين في مختلف المجالات، وخاصة المفسرين للقرآن الكريم الذين تناولوا آيات الأحكام ودرسوها وقارنوا بينها

---

1)والمنخول من تعليقات الأصول لابي حامد الغزالي .ص :331 وينظر تفسير آيات الأحكام لمحمد على الصابوني ج1، ص 528 وينظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد على الشوكاني ج 2، ص 168– ط دار الفكر لبنان، سنة 1999 .

واستخرجوا أحكاما حسب اجتهادهم و مذاهب المستقلة فتولد من ذلك منهج جديد في التفسير ألا و هو التفسير الفقهي.

وبذلك تعددت التفاسير وصار لكل مذهب فقهي تفسيره الذي يعتمد عليه في مجال اجتهاد أئمته و تلاميذهم.

ففي المذهب المالكي مثلا: كتب ابن العربي ت542هـ كتابه تفسير أحكام القرآن. وفي المذهب الحنفي ألف الجصاص المتوفى سنة 370 هـ كتابه أحكام القرآن. و في المذهب الحنبلي ألف أبن الجوزي المتوفى 597 هـ كتابه زاد الميسر. وفي المذهب الشيعي الجعفري ألف الطوسي المتوفى 460 هـ كتابه التبيان في تفسير القرآن. وليست هذه التفاسير المذكورة هي ما وجد في أيدي الناس وإنما هناك كتب أخرى تلاحقت عبر العصور فتعددت التفاسير الفقهية وفق تعدد المذاهب، ولكنها مع تعددها بقي المنهج واحدا متمسكا بأسسه والتي يمكن أن نجملها في ما يلي:

الأســاس الأول:

كل مفسر للقرآن الكريم تفسيرا فقهيا اعتمد على القرآن والسنة وأقوال الصحابة الواردة في تفسير الآية وما تضمنته من أنواع الأساليب اللغوية كالحقيقة والمجاز والعام الخاص والمطلق والمقيد، والناسخ و المنسوخ و أسباب النزول وما اشتمله من القواعد الضرورية لتفسير القرآن الكريم التي لا يمكن أن يستغني عنها أو يغفلها أي مفسر.

الأساس الثاني: ...

اعتماد هذا المنهج على اللغة ومدلولاتها والتخريجات الإعرابية ومعانيها والبلاغة بيانها والاستشهاد بالشعر والاستعانة بالشواهد من كلام العرب في بيان المفردات القرآنية ومعانيها لإثبات أو نفي حكم فقهي من أحكام الشريعة، ومن الأمثلة على ذلك.

الخلاف الاجتهادي بين الإمامين مالك والشافعي حول حرمة أو حلة الشاة التي تتعرض لإحدى الحوادث المذكورة في الآية الآتية، والتي أدركت حية وذكيت هل تعمل فيها الذكاة أم لا ؟ فقال الإمام مالك بأنها لا تعمل فيها الذكاة ، ولا يجوز أكلها .

في حين كان رأى الإمام الشافعي أن الذكاة تعمل فيها ويجوز أكلها. ومنشأ الخلاف بينهما لغوي نحوي وهو ما استنتجته كل منها من الآية الكريمة وهي قول الله تبارك وتعالى: { **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الْخِنْزِيرِ ومَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِه والْمُنْخَنِقَةُ والْمَوقُوذَةُ والْمُتَرَدِّيَةُ والنَّطِيحَةُ ومَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ** }[1] ، فالخلاف بينهما خلاف لغوي وهو مستنتج من قوله تعالى: { **إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ** }، فكان موضع الخلاف هو الاستثناء، هل هو استثناء متصل أو منقطع ؟ فمن رأى أنه متصل وهو الإمام الشافعي ومن سار في فلكه. رأوا أنه أخرج من حكم التحريم ويكون معنى الآية " إلا ما أدركتموه وفيه بقية حياة و ذكيتموه فإنه حلال لكم أكله ".

---

1) سورة المائدة، جزء من الآية 4.

ومن رأى الاستثناء منقطع وقال بأن التذكية لا تعمل في هذه الأنواع الخمسة المذكورة في الآية وأن الاستثناء من التحريم لا من المحرمات، ومعنى الآية: حرم عليكم سائر ما ذكر، لكن ما ذكيتم مما أحله الله تعالى لكم بالتذكية فإنه حلال لكم [1]

الأساس الثالث:

من أسس هذا المنهج استطراده في إقامة الأدلة للفروع الفقهية التي تبدو الأدلة التي تساق في هذا المجال بعيدة عن إثبات دعاوى المدعين وان الآية المستشهد بها لا تمت بصلة قوية بالموضوع.

الأساس الرابع:

تطبيق القواعد الفقهية لمذهب المفسر لآيات الأحكام وفق مذهب أمامه وأصول مذهبه والتي يعتقد أنها تبلغ درجة اليقين، ويتناول آراء المجتهدين في معنى الآية حين يجد فيها متسعا من المدلولات اللغوية فيتطرق إلى اجتهادات المجتهدين في المذاهب الأخرى فيحلل ويعلل ويناقش وينتقد الآراء التي احتجوا بها و يبرز الأدلة التي توافق مذهب أمامه وينتصر لها ويلتمس الحجج التي تدعمها وتعزز الرأي الذي يقول: إن ما في الآية محل للاستدلال إلا الرأي الذي يوافق المذهب الذي ينصر له ولا يحتمل الآراء الأخرى المخالفة له وقد يصل الأمر بالمفسر في هذا اللون من التفسير من الجرأة على رمى المخالفين ولو كانوا من كبار الأئمة بعبارات لاذعة لا تليق بمقامهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الجصاص عن الإسلام محمد بن إدريس الشافعي (رحمه الله) في مناظرته لأحدهم في باب ما حرم من النساء حول موضوع: هل يحرم الحرام الحلال؟ وذكر تلك

---

1) الجصاص أحكام القرآن الكريم 22، ص 118

المناظرة في كلام طويل ثم قال: فقد بات ما قاله الشافعي. وما سلم له السائل كلام فارغ لا معنى تحته في حكم ما سئل عنه[1] وهذا كثير من قليل إذ نجد أن ما قاله الجصاص أكثر مما سجلنا بكثير. وقد تصل المهاترة مداها وخاصة وقد شجعت السياسة على الحقد الذي نشأ بين أهل المذاهب الفقهية والاتجاهات الفكرية و كان أمضي سلاح يستعمله المتخالفون هو بعض آيات الأحكام التي تحتمل التأويلات وفيها من الألفاظ المشتركة والعبارات الواسعة المدلول ما يساعد على ذلك.

إنصاف المجتهد: إن المجتهدين لا محالة تختلف آراؤهم و قد كان الاجتهاد في الصدر الأول من الإسلام في عهد الصحابة و التابعين و أئمة المذاهب ومن بعدهم من تلاميذهم الذين ساروا على طريقهم منصفين، ولم يصل الأمر بأحدهم إلى أن يرمي غيره بالخروج عن الشريعة وخلع ربقة الدين من عنقه أو معاداة السنة لخلاف وقع بينهم ، ولم يكونوا بدعون أن ما توصلوا إليه عن طريق الاجتهاد هو الحق كل الحق لا شك فيه بل كل واحد ورد عنه ما يدل على أنه بذل جهده في سبيل الوصول إلى الحق و سعى قدر جهده إلى إنارة السبيل لإظهار الحق وفق قناعته ، و يحتمل أن ما وصل إليه هو الحق و يحتمل غير ذلك. فقد كان أبو حنيفة يقول : قولنا رأي و هو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب. وهذا الإمام الشافعي يقول قولته المشهورة : رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب[2]

وإذا عدنا إلى الصحابة لم نجد واحدا منهم حمل الناس على رأيه و حط من قدر غيره، وكذلك جل التابعين، فهذا الإمام مالك يبدي مواقف في غاية الإنصاف و التواضع وذلك حين عرض

---

1) أبو حنيفة، حياته و عصره الشيخ أبو زهر، ص 60، ط 3، سنة 1960، دار الفكر العربي مصر

2) الموافقات مجلة علمية، عدد 5 جوان 1996، ص 56

عليه الخليفة العباسي حين استأذنه في أن يأمر بنسخ الموطأ و إرساله إلى الأمصار وليتخذوه مصدرا للفتوى و ترك ما يخالفه، فقال له الإمام مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا في البلاد و عند كل واحد منهم علم، وقد علق ابن عبد البر على هذه القصة بقوله: "و هذا غاية الإنصاف لمن فهم "[1]

المنهج الصوفي:

ظهر هذا المنهج على يد بعض المحققين الذين يرون أن القرآن الكريم ظاهر وباطن، و أن الآيات تحتجب وراء دلالتها اللفظية أفكارا عميقة و معاني دقيقة لا تظهر لجميع الناس و هي تحتوى على إشارات خفية لا تنقدح إلا لذوي السلوك و يرون أن المعاني الحقيقة للآيات القرآنية لا تنحصر في الفهم التي تبدو من الشروح في التفسيرات الظاهرة و إن هناك معاني ظاهرة للقرآن الكريم وأخرى باطنية. وهؤلاء يقدمون المعاني الباطنية التي تتفق واتجاهاتهم وفي هذا الاتجاه يقول ناصر الدين خسروا: "تفسير القرآن بالظاهر هو بدن العقيدة بيد أن التفسير الأعمق يحل محل الروح، وأنى يحيى بدن بلا روح"[2]. وإن كان كثير من الباحثين يفصلون بين التفسير الصوفي و التفسير الإشاري إلا أننا نجد بعضهم يجملون النوعين ولا يفرقون بينهما.

كما أننا نجد بعضهم يدرجون هذا النوع من التفسير ضمن التفسير بالرأي الذي قبله بعضهم وتحفظ بعضهم الآخر اتجاهه وأنكره من أنكره وجعل له صنف آخر شروطا يتقيد بها.

ولكن يبدو أنه من الأفضل أن نعرف تعريفا بسيطا بالتصوف الذي أصبح الناس يختلفون فيه.

---

1) مختصر جامع بيان العلم و الفضيلة، ص 120 – 121

2) قصة التفسير، ص 128

ونريد بالتصوف السلوك التعبدي المنبثق من الشريعة الإسلامية الذي ترقي به النفس وتصفو من الكدر وتترفع وترغب عن زينة الدنيا بالتقشف والزهد وملازمة العبادة، فمثل هذه الصفات لا يختلف فيها عاقلان فهي من صميم الإسلام وهي من سلوك الصحابة والتابعين، ولكن تعدد المفاهيم واختلاط التوجهات جعلت النصوص من التصوف مذهبا فلسفيا له نظريات خاصة لا صلة لها بالتقوى والورع و الزهد والتقشف وأصبحت تشتمل على أفكار فل فية تتنافي وتعاليم الإسلام وتعتنق معتقدات غريبة عنه، وبعض المفسرين أصبحوا يتصفون بهذه الصفات.

وقد نسب بعض الباحثين محي الدين بن عربي إلى طائفة التصوف الفلسفي النظري ورأوا أنه يفسر القرآن الكريم وفق النظريات الصوفية. يقول الأستاذ مناع القطان: "و يعتبر بن عربي زعيم التصوف الفلسفي النظري و هو تفسير الآيات القرآنية تفسيرا يتفق مع نظرياته الصوفية سواء كان ذلك في التفسير المشهور باسمه أو في الكتب التي تنسب إليه كالفصوص، وهو من أصحاب نظرية وحدة الوجود [1] إلا أن الصوفية يقررون أن طريق الفهم الدقيق العميق للقرآن الكريم مفتاح العمل بالقرآن وذلك يفتح لصاحبه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم إلغاء السمع المشاهدة لقوله عز وجل: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [2]، ومن هذا وصلوا إلى أن من تتكشف لهم الخزائن الخفية تحت كل آية ليس من ملك قسطا من الثقافة أو العلم وإنما هم الراسخون في العلم يقول أبو بكر الواسطي: " الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب و في سر السر، فعرفهم ما

---

1) مناع القطاني، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط3، سنة 1421 ه – 2000 م، ص 367.

2) سورة ق، الآية 37

عرفهم و أراد منهم من مقتض الآيات ما لم يرد من غيرهم، و خاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات، فانكشفت لهم من مذخور الخزائن المخزون تحت كل حرف و آية. و الفهم و عجائب النص فاستخرجوا الجواهر والدرر ونطقوا بالحكم "[1]. ومن الذين يمثل ون هذا الخط من التفسير كتاب " لطائف الإشادات "[2] لعبد الكريم بن هوازن المعروف بالقشيري المتوفى سنة 465 ه، وحقائق التفسير لمحمد بن الحسين الأزدي أبي عبد الرحمان السلمي المتوفى سنة 410 هو غيرهم. و إن كانت الآراء قد تضاربت حول التفسير بالرأي فإن فيه من يرغب في التوسع فيهو من هؤلاء الإمام أبو حامد الغزالي توفي سنة 505 ه حيث يقول: " إن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا، ومتسعا بالغا، وأن المنقول من ظاهر التفسير، ليس منتهى الإدراك فيه، فبطل أن يشترط السماع في التأويل، وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه، وحد عقله "[3]

التفسير الإشاري:

وقد فرق بعض الباحثين بين التفسير الصوفي و التفسير الإشاري ذلك أن معنى التفسير الإشاري يتمثل في تأويل القرآن الكريم على خلاف ظاهره ، لإشارات خفية تبدو لبعض المفسرين وفق هذا المنهج، و ينسب هذا التوجه إلى فئة خاصة هم الذين يسمون - (العارفون بالله)- والعارفون بالله هم أهل السلوك و المجاهدون للنفس ولا يأتي هذا عن طريق الكسب بل هو موهبة من الله للذين نور

---

1) قصة التفسير، ص 134

2) تفسير كامل للقرآن الكريم ألفه الإمام القشيري على الطريقة الصوفية طبع بتحقيق، د براهيم بسيوني، دار الكتاب العربي سنة 1970 – 1971 في 6 أجزاء

3) أحياء علوم الدين ج 3، ص 36،و نقلة محمد على الصابوني في كتابه البيان في علوم القرآن، ص 167

بصائرهم فأنيرت لهم طريق إدراك أسرار القرآن العظيم، أو انفتحت لهم بعض العبارات التي تعلو على أذهان غيرهم، فيكون من يبلغ هذه الدرجة قد حاز إلهاما ربانيا وفتحا إلهيا، ولا يعنى أن الخائضين في هذا البحر لا يجمعون بين المعقول والمنقول والإلهام والتأويل الصريح للوصول إلى المراد من آيات الله العزيز الحكيم.

أسس المنهج الصوفي:

الأساس الأول:

هو أن تفسير الآية وفق ما يستنبطه أهل الطريقة الصوفية، حسب إشاراتهم التي قد تكون غامضة عند البعض ولا يفهمها غيرهم، يقول القشيري مفسرا قوله تعالى: { **وَقَاتِلُ وهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ. . .** }[1] الإشارة من الآية إلى مجاهدة النفوس، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك"[2]، وإن كان الالوسي من أهل التفسير الإشاري الصوفي إلا أنه لا يفسر القرآن الكريم تفسيرا إشاريا إلا في بعض الآيات فقط فمثلا في تفسير هذه الآية نجده يفسرها تفسيرا لغويا واضحا بدون أي تأويل أو تخريج يقول: { **وقَاتِلُ وهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ** } عطف على : { **وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ** }[3].

---

1) سورة البقرة، الآية 193

2) لطائف الإشارات ج1، ص 173

3) سورة البقرة، الآية 189 {و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين }

والأول مسوق لوجوب أصل القتال، و هذا لبيان غايته، والمراد من - (الفتنة): الشرك، على ما هو المأثور عن قتادة، والسدي و غيرهما، و يؤيده أن مشركي العرب ليس في حقهم الإسلام أو السيف [1].

إن من يلاحظ سياق الآيات يجد أن التأويل الذي ذهب إليه القشيري تأويل بعيد، و هذا الالوسي يقول: وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك، و لا يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، و ذلك من كمال الإيمان و محض العرفان لأنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط [2]، ونلاحظ أن الالوسي لم يسم هذه المقولات تفسيرأو إنما سماها: كلام السادة الصوفية في القرآن، تأدبا معهم، و هذا الكلام هو مجرد إشارات إلى دقائق تنكشف لهم وقد علل لكلامه السابق بقوله :" إن ذلك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية، و حاشى سادتنا من ذلك "[3]، إنه يرى أن الصوفية قد حبذوا حفظ تفسير السابقين للاعتماد عليه قبل أن يخوضوا في التفسير الإشاري و هذا ما فعله هو في كتابه روح المعاني، إذ أن التفسير الظاهر في نظرهم أولا، إذ لا يمكن الوصول إلى التفسير الإشاري قبل إحكام الظاهر يقول : "و من أوعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب " [4]، فالالوسي يرتب تفسير القرآن على مراحل أولها التفسير

---

1) تفسير الألوسي (روح المعاني ج 2، ص 76)

2) روح المعاني ج 1، ص 7وينظر البرهان في علوم القرآن ج : 2 .ص : 170 . 171

3) روح المعاني ج 1، ص 7

4) روح المعاني ج 1، ص 7

الظاهري وفق خطة التزامها ، وقد اشترط للتفسير ثمانية و سائل هامة بعد أن عرف بالتفسير و التأويل والفرق بينهما .

الأساس الثاني: ...

فإنه يتمثل في تفسير بعض الأحكام الشرعية والفروع الفقهية تفسيرا مختصرا للوصول إلى إستكناه بواطنها، و إدراك مدل ولاتها و معرفة جواهرها، يقول القشيري في تفسير الصلاة الواردة في قوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ...} [1]، الصلاة: قرع باب الرزق، والصلاة الوقوف في محل المناجاة، والصلاة اعتكاف القلب في مشاهد التقدير، ويقال هي الوقوف على بساط النجوى، وفرق أوقات الصلاة ليكون للعبد عود إلى البساط في اليوم و الليلة مرات [2].

الأساس الثالث: ...

تفسير الحروف في القرآن الكريم عند الصوفية وبيان علاقة بعضها ببعض إن الصوفية قد فسروا الحروف في القرآن وفق منظورهم الخاص وتأويلاتهم البعيدة عن القواعد المتعارفة بين عامة المفسرين، يقول سهل بن عبد الله التستري في تفسير لفظ الجلالة - الله -: " الألف أول الحروف وأعظم الحروف، وهذه الإشارة في الألف أي اسم الله الذي ألف بين الأشياء، وإنفراد عن الأشياء" [3].

---

1) سورة الإسراء، الآية 78و تمامها

2) لطائف الإشارات ج 4، ص 36

3) قصة التفسير. ص : 136

وهذه التخريجات لا نجد لها شرطا من شروط التفسير بدعمها إلا ما تقدم في ذهن قائلها .

وأين هذا من الشروط التي وضعها عدد من العلماء لتفسير كتاب الله [1] ؟ وقد سبقهم إلى ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه حيث قال: " التفسير أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، وجهلا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله "[2]

وقد علق على هذا القول د/نور الدين عز بقوله : " وهو سليم وصحيح ودقيق " يقول الطوسي: أن جميع ما أدركته العلوم وألحقته الفهوم ما عبر عنه وما أسر الله مستنبط من حرفين من أول كتاب الله تعالى: وهو قوله :**بسم الله والحمد لله**، لأن معناه بالله ولله، والإشارة في ذلك أن جميع ما أحاط به علوم الخلق، وأدركته فهومهم فليس هي قائمة بذاتها وإنما هي بالله ولله " [3] .

وقد تعمق بعض المتصوفة في تفسير إلى درجة المبالغة حتى أصبحت تفسيراتهم لبعض الآيات ألغازا و معميات لا تتفق مع وصف الله سبحانه و تعالى للقرآن بقوله: **{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ }** [4] ،

لذلك نجد بعض أهل العلم والدارسين ينكرون أن يكون هذا من قبيل التفسير، إن لم يحكموا على القائلين به بأحكام قد تكون قاسية كما بعض العلماء .

---

1) ينظر النجد في علم التفسير للسيوطي، ص 128

2) علوم القرآن المريم، ص 73، ويذكر أيضا في البرهان و الإتقان ج 2، ص 182

3) نص التفسير، ص 136

4) سورة الشعراء، الآية 193 – 195

ومن هؤلاء نجد ابن الصلاح في فتاويه يقول: "وجدت على الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: "صنف عبد الرحمان السلم حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر" ومن أدب العلماء أنه ترك منفذا يرجع منه حيث قال: فيما بين المفسر و ربه حيث قال: " فإن كان " وهذه لفتة طيبة من ابن الصلاح.

ومع هذه الأعذار التي يلتمسها العلماء لبعضهم (التمسوا لإخوتكم أعذارا) فإن من يطلع على التفسير المنسوب إلى أعلى الباطن يجد أن القواعد التي وضعها العلماء للخوض في مجال تفسير القرآن الكريم قد غيبت وان الممارسين لهذا الفن من الأقوال قد صنفوهم ضمن فئة المعطلين لأحكام الشريعة، ومدرجين في تفسيراتهم أقوالا تتنافي و عقيدة أهل السنة والجماعة معتمدين على ما يتراءى لهم أنه فيوضات ربانية واشراقات إلهية، وهو ما يسمى بالتفسير الباطني وهذا يتنافي مع الأحكام الشرعية والعقلية [1].

و قد تصدى العلماء للذبعن كتاب الله منذ العهود القديمة وأوضح من يمثل هذه الطائفة محمد بن مالك اليماني أحد علماء القرن الخامس الهجري في كتابه أسرار الباطنية، فهو يتناول الموضوع بإسهاب و يعطينا صورة واضحة المعالم عن مدى تلاعب الباطنية بكتاب الله تحت ستار التأويل، وعن مبلغ استهزائهم بعقول العامة الذين وقعوا فيما نصبوه لهم من الأحابيل [2]. وقد أحتج أصحاب

---

1) قصة التفسير ص 140،و الإتقان في علوم القرآن لسيوطي ج2، ص 184

2) ينظر كتاب التفسيرو المفسرون (به نماذج من هذا التفسير) ج 2، ص 247 – 248

هذا المنهج على تحريف معنى الحديث الذي روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **لكل أية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع** "[1].

إن هذا الحديث النبوي الشريف يبين أن النص القرآني يتضمن وراء دلالته اللفظية أفكارا عميقة وأسرارا و حكما لا تتعارض مع مدلول النص الظاهر بل توضحه، أما تأويل النصوص بحجة أن لكل أية ظهر و بطن و البعد بها عن ظواهرها إلى معاني لا صلة لها بهذه الظواهر فأمر مرفوض شرعا وعقلا.

ولذلك نجد أن الصوفية قد وضعوا شروطا و معالم ينبغي أن تتوفر في المنهج الصوفي وأن يقف عندها الخائضون في الموضوع دون تخطيها حتى يكون التفسير مقبولا و هذه الشروط لم تفرق بين التفسير الصوفي أو الإشاري أو الباطني بل جعلت مقاييس تضم الجميع : وهي كالأتي:

1 – أن لا يكون التفسير الصوفي (الإشاري) منافيا للظاهر من النظم القرآني.

2 – أن يكون للتخريج أو التأويل شاهد شرعي بسنده.

3 – أن لا يدعى أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر بل لابد أن تعترف بالمعنى الظاهر أولا إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر و من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ كصدر البيت قبل أن يجاوز الباب[2].

وأما الألوسي فله شروط أخرى أوسع و أشمل لتفسير القرآن فيقول " أما ما يحتاجه التفسير فأمور، الأول علم اللغة لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلوماتها بحسب الوضع، ولا يكفي اليسير

---

1) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج 2، ص184

2) ينظر التفسير و المفسرون ج3، ص 43

إذ قد يكون اللفظ مشتركا و هو يعلم أحد العنيين و المراد الآخر. فمن لم يكن عالما بلغات العرب لا يحل له التفسير "[1] وبين الألوسي أن الأحكام التي يصدرها ليست من عنده بل هي من عند العلماء السابقين الذين أخذوا الأحكام الصحيحة من الصحابة و التابعين وتابعيهم برواية لا يرقى إليها شك أو ريب، و هؤلاء العلماء من أمثال مجاهد والإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، والإمام أحمد بن حنبل و غيرهم.

– و أما الثاني: فمعرفة الأحكام التي للكلم العربي من جهة وإفرادها وتركيبها .

– و الثالث: علم المعاني و البيان و البديع و يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة وبالثاني خواصها من حيث اختلافها، و بالثالث وجوه تحسين الكلام.

– و أما الشرط الرابع: فهو تعيين المبهم وتبيين المجمل، و سبب نزول و نسخ و يؤخذ ذلك من علم الحديث.

– و أما الشرط الخامس: فمعرفة الإجمال والنبيين و العموم و الخصوص والأخلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي، وهذه مأخوذة من أصول الفقه.

– وأما السادس: فمعرفة أنواع الكلمات التي تجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل، وما يجب و ما يجوز على الرسل. ويؤخذ هذا من علم التوحيد (علم الكلام) .

– وأما السابع: فعلم القراءات.

---

1) روح المعاني ج 1 ، ص 7.

وإن كان هناك بعض العلماء كالسيوطي الذين أضافوا شروطا أخرى يحتاج إليها المفسر كعلوم التصريف والاشتقاق و الفقه و علم الموهبة ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله : "من عمل بما علم ما لم يعلم "

و بعد معرفة هذه الشروط بالتفصيل و التوضيح يصل الألوسي إلى التفسير الإشاري الذي جعله في آخر مرحلة من هذه المراحل فيقول : " إن من كان متبحرا في علم اللسان مترقيا منه إلى ذوق العرفان و له في رياض العلوم الدينية أوفى مرتع و في حياضها أصفى مكرع يدرك إعجاز القرآني بالوجدان لا بالتقليد وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التحقيقات أحسن إقليد فذاك يجوز له أن يرتقي من علم التفسير ذروته و يمتطي منه صهوته "[1] .

و إن كان بعض المفسرين ممن ينسبون أقوالهم إلى التفسير الصوفي قد جاءوا بتخريجات يراها بعض الباحثين أنها بعيدة كل البعد عن التفسير لكونها لا توافق ظاهر مدلول السياق اللغوي العربي، وأنها من التأويل البعيد هذه بعض الشروط التي ينبغي أن تتوفر في التفسير الصوفي الإشاري حتى يكون تفسيرا حقيقيا، فإن توفرت فيه الشروط فهو زيادة في الخير، ويكون لبنة إضافية في صلاح العقول والقلوب و تزكية النفوس و إرشادها إلى الطريق المستقيم وتكون دعوة إلى الخير وفق ما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المنهج العلمي:

من مقاصد هذا المنهج أنه يبرز الحقائق العلمية التي تحدث عنها القرآن و التي تلتمس في بعض المواد الأخرى كالعلوم الطبيعية و الفلسفة و الرياضيات و التاريخ و الجغرافيا والصناعية والفلكية وبهذا

---

1) مقدمة تفسير الألوسي، جزء 1، ص 7

يكون القرآن كتاب دين ودنيا صالح لكل مكان وزمان به علوم شتى شمل كل ميادين الحياة العلمية والفلسفية و الإنسانية، و الباحث يجد في نص القرآن الكريم ما يدل على علوم الحياة الدنيا ما كان منها و ما يكون قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَولَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }[1] .فلو جد المجد ون من العلماء واجتهد المجتهدون وبحثوا في شتي أنواع العلوم لوجدوا أنفسهم يدورون في فلك (في الآفاق و في أنفسهم) .

وقد عبر القرآن بصيغة المضارع (سنريهم) ليدل على الاستمرار والتجدد وقد نقل الالوسي أقوالا منها قول عطاء وغيره عن معنى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) أي اقطار السماء والأرض من الشمس والقمر و سائر الكواكب والرياح والجبال الشامخة وغير ذلك، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة[2] وإن كان قد عجز عن إدراك المدلول العظيم للآية وغفل عنها آخر ون وأنكرها أمثالهم قد ذكره الالوسي حيث قال: "و أجيب بأن القوم و إن كانوا قد رأوا تلك الآيات إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى فيها مما لا نهاية لها، فهو سبحانه وتعالى بطلعهم عليها بالتدريج زمانا إثر زمان، وحالا فحالا، فإن كل واحد يشاهد بنية الإنسان، إلا أن العجائب المودعة في تركيبها لا تحصى و أكثر الناس عنها غافل ون، فمن حمل على التفكر فيها بالقوارع التنزيلية والتنبيهات الإلهية كلما ازداد تفكرا ازداد علما فصح معنى الاستقبال[3] .

---

1) سورة فصلت، ص 53

2) تفسير الألوسي، (روح المعاني)، ج 25، ص 7 .

3) المرجع نفسه

إن الباحث في هذه الآية و ما تحتويه من معاني غير متناهية ليدرك معنى الإعجاز البياني في القرآن الكريم، إذ الكلام على قصره و وجازته يحمل من المعاني التي مهما تدبر فيها أولوا الألباب إلا ووجدوا أنفسهم عاجزين عن الإحاطة بها و هذا الأسلوب البليغ كان محل إدراك وتأثيره بما يحويه من إعجاز كان فريدا من نوعه ، فقد أدركه العرب وقت نزوله فمنهم من أسلم بسببه ومنهم من كابر وطغى وتجبر وبقي على عناده إلى أن مات كافرا رغم عجزه و انبهاره بأسلوب القرآن و مدلولاته ومعانيه.

فبالرغم من إدراك العرب لمعانيه إلا أن معارف الباحثين قد عرفت تطورا وصارت تتنامى وتكتشف الجديد بمرور الأزمان فأهل كل فن حاولوا إيجاد أسس علمهم فيه.

فأهل الفقه واصلوا البحث والتعمق في مجال استخراج الأحكام التي صارت تتسع وتتطور بتطور حاجات الناس إليها، والباحثون في اللغة وأساليبها وما تنطوي عليها من معاني بيانية وجدوا فيه ما لم يعرف منتهاه بعد والباحثون في العلوم التجريبية ما يزالون من حين لآخر وعبر العصور المتلاقة يطلون على ا لجديد، و لعل الإمام أبي حامد الغزالي (توفي 505 هـ) كان من السباقين إلى الدعوة إلى هذا المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم والذي استوفى القول فيه في كتابه (جواهر القرآن) حيث خصص منه بابين بين فيهما كيف تشعبت العلوم كلها من القرآن الكريم، و يريد بالعلوم بمدلولها الواسع، العلوم الدينية والدنيوية و اللغوية و العلوم التي كانت موجودة واندثرت والعلوم التي هي كائنة و لا يعرفها الناس والعلوم التي ستتلوه فيما بعد، كل هذه العلوم عند الغزالي ليست خارجة عن القرآن[1] . فماذا ترك الغزالي من مجالات الحياة ليفكر فيها الإنسان وتكون خارجة عما ذكر.

---

1) ينظر قصة التفسير، ص 125

و يقول الغزالي أيضا في كتابه أحياء علوم الدين: "كل ما أشكل فهمه على النظار، واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز، و دلالات عليه يختص أهل الفهم يدركها"[1]، ولم يورد الغزالي القول من عند نفسه حتى يكون كلامه رأيا يؤخذ أو يرد و لكنه اعتمد على سند صحيح سبق إليه، فقال مستدلا على اشتمال القرآن على جميع العلوم: يقول ابن مسعود: "من أراد علم الأولين و الآخرين فليتدبر القرآن " و في رواية " فليثور القرآن "[2]، وقد يقول قائل إن ما جاء به الغزالي فيه توسعا في القول و إن كثيرا من المفكرين يرون أن قول ابن مسعود لا يؤخذ على الإطلاق بل فيه تقييد بأمور منها إن الأصل في القرآن أنه كتاب هداية وتشريع لا كتاب علم و تشريح، والقول الآخر المباين لهذا أنه يوجد في الآيات القرآنية ما يشير إلى موضوعات علمية تناولتها أيدي الباحثين تناولا مجملا و تحدثت عنها حديث التعميم في العصور الماضية .

كما لا يمنع الباحث عن الحقائق العلمية في مثل العلوم الرياضية و الطبيعية أنه إذا صادف ما يمكن أن يشير به إلى المادة التي يدرسها حتى يعمق إيمانه و يزيد غيره هداية و نورا فهو خير، لأن الآيات القرآنية قد جاءت بإشارات إلى بعض المسائل العلمية فإذا استطاع أي باحث أن يكشف أية نظرية علمية مستندا إلى توجيه القرآن فهذا من الحسنات التي تزيدنا يقينا أن العلم لا يخالف ما جاء في كتاب الله المبين وأن إعجاز القرآن متجدد ولا ينفد قال تعالى : { **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** }[3] .

---

1) إحياء علوم الدين، ج : 1، ص: 289، طبع دار المعرفة للطباعة و النشر، لبنان

2) المرجع نفسه

3) سورة الكهف . الآية : 109

وكثيرا ما حاول بعض المحاولين إثبات عدم الانسجام بين آيات القرآن أ وحتى بين القرآن والحقائق العلمية، و لكن تبين أن ما وصلوا إليه ليس إلا تخمينات باطلة .

وقد حاول أحد المسيحيين المصريين . وكان أستاذا لمقارنة الأديان . تأليف كتاب تحت عنوان: "تناقضات القرآن " وبعد جهد جهيد في البحث وبعد مرور فترة من الزمن وصل إلى الإيمان بأن القرآن فوق مقدور البشر وألف كتابا تحت عنوان: "غلبني القرآن " وأعلن إسلامه وصار واحدا من أنشط الدعاة للإسلام.

فهناك فرق بين الظن والحقيقة، وعلى ضوء ما كشفه الباحثون في مختلف الأزمنة وخاصة غير المسلمين، وصلوا إلى أن يقروا ويقرروا أن: (القرآن الكريم لم يوجد فيه نص من النصوص يناقض حقيقة علمية ثابتة، وهذه ناحية من نواحي إعجازه، كما أن الذي أشار إليه من الحقائق العلمية يعد أيضا دليلا من دلائل الإعجاز فيه، وهذا القدر من التدليل على إعجاز القرآن من هذه الناحية يكفي ويشفى)[1] .

---

1) قصة التفسير، ص 127 .